جامعة تكريت

كلية التربية للبنات

قسم التاريخ

المرحلة : الثانية

المادة: تاريخ النهضة الأوربية

عنوان المحاضرة :فرنسا في عهد لويس الرابع

أسم التدريسي : أ.م.د. شاهه دحام عبدالله

الإيميل الجامعي للتدريسي :Shaha@tu.edu.iq

فرنسا في عهد لويس الرابع عشر

الملك لويس الرابع عشر Louis XIV أحد أبرز ملوك فرنسا في أسرة البوربون. استبشر الفرنسيون خيراً بولادته في أيلول/سبتمبر ١٦٣٨ بعد انتظار والديه (الملك لويس الثالث عشر Louis XIII والملكة النمساوية «آن» Ann) نحو عشرين عاماً، غير أنه أصبح ملكاً يتيماً في أيار/مايو ١٦٤٣.

حكم فرنسا ٥٤ عاماً (١٦٦١- ١٧١٥)، وطبع مصيرها بطابعه إلى حد لايمكن تصور تاريخ فرنسا من دونه، وقد ترافق في أثناء حكمه المجد والبؤس معاً، مما جعل المؤرخين ينقسمون تجاهه بين مادح وقادح. ارتكزت قاعدة العمل السياسي لديه على الطاعة في الداخل والسمعة الحسنة في الخارج. وهو يعتقد أنه مصدر السلطات، بسبب الملكية المطلقة، فهو صاحب الكلمة الشهيرة «الدولة: هي أنا» L'état, c'est moi. بعد موت لويس الثالث عشر، تكفل الوزير الأول مازاران Mazarin والملكة آن بتربيته، فأحسنا تعليمه وزوّداه بشتى أنواع المعارف، شهد كثيراً من الأحداث في طفولته منها: هروبه إلى سان جرمان قبل أن يتجاوز العاشرة، وهجوم بعض سكان باريس على مهجعه تعبيراً عن رفضهم الحرب الإسبانية، والاضطرابات المتكررة في باريس، والتي وصلت في أحد الأيام إلى القصر الملكي نفسه، واضطراب المواصلات بين باريس والضواحي، إلى جانب الحرب الأهلية التي واجهها في صيف ١٦٥٢، وعندها اتخذ قراره الحاسم بإيقاف الكاردينال روتز مفاجئاً الجميع بحزمه وسريته.

في الفترة بين ١٦٥٣-١٦٦١، فوّض تصريف البلاد إلى وزيره الأول مازاران على الرغم من بلوغه سن الرشد، وفي هذه الأعوام الثمانية صار الملك ناضجاً، عالج كثيراً من مشكلات الحرب الأهلية، وتوصل إلى سلام مع إسبانيا باتفاق «البيرينيه» Pyrénées عام ١٦٥٩، وظهر حب الملك للترف والأعياد والاحتفالات. ولحسابات سياسية تزوج ماري تيريز Marie-Thérèse الإسبانية، وأنجبت له ستة أطفال،عاش منهم ولي العهد ولده البكر لويس (١٦٦١-١٧١٠). وإثر وفاة مازاران عام ١٦٦١ دخل الملك إلى الحكم بقوة، وكان على قناعة تامة بأن يحكم بنفسه ولايمكن لأحد أن يحل محله، لذلك قرر إبعاد وزيره الأول والأمراء والشخصيات العامة في القصر عن مركز القرار، وألغى كثيراً من المؤسسات الإدارية وقلّص دور المسؤولين عنها، وعلى نطاق الإدارة الحكومية (كمجلس المراسلات، ومجلس التمويل) لم يقبل لويس الرابع عشر مفوضين من أصل غير برجوازي من دون مساواتهم بالنبلاء.

وكانت حكومته الملكية مثقلة بالديون، ولم تستطع الجهود الجبارة التي بذلها وزير ماليته «كولبير» Colbert في جمع الأموال بتشجيع الإنتاج والتصدير وإقامة مصانع حكومية وإعطاء امتيازات للمشروعات الخاصة للقيام بما هو مطلوب، لأن أحلام الملك التوسعية كانت تحتاج إلى المزيد من الأموال من الخزينة التي لا طاقة لها بتحملها، إذ إن الحروب والإنفاق على مظاهر الترف والسلطان أدّيا إلى ابتلاع كل ما كان يدخل الخزينة من أموال.

خاض لويس الرابع عشر حروباً كثيرة كان أولها حرب الوراثة في الأراضي المنخفضة (١٦٦٧- ١٦٦٨) غداة موت ملك إسبانيا فيليب الرابع، ومطالبة لويس الرابع عشر بحق زوجته - ابنة الملك فيليب - بوراثة الأراضي المنخفضة، فشن الحرب على إسبانيا واستولى على

حصون إسبانيا وقلاعها، فتصدى له حلف بريطاني - هولندي- سويدي اضطره إلى التفاوض معه وتوقيع صلح إكس لاشابل Aix- la-Chapelle. ثانيها حربه مع هولندا (١٦٧٢- ١٦٧٩)، سعياً لتفكيك الحلف آنف الذكر، فحاول غزو هولندا، واستمالة السويد، لكن حذر الدول الأوربية من خطر التوسع الفرنسي جعل لويس الرابع عشر يضطر إلى عقد معاهدة «نيميغ» Nimègue عام ١٦٧٨. وثالثها حرب البلاطينات في الأراضي المنخفضة (١٦٨٨-١٦٩٧) مدعياً حق وراثة عرش ولاية البلاطينات لمصلحة زوجة أخيه المتوفى «دوق أورليان» لكونها أخت «شارل» أمير البلاطينات الذي لا وريث له غيرها، فهاجم ولاية البلاطينات عام ١٦٨٩، وامتدت الحرب لتشمل أوربا إلى أن هزمه الإنكليز في معركة «لاهوغ» La Hogue 1692، وانتهت بتوقيع معاهدة «رزويك» Ryzwick. أما رابعها فكانت حرب الوراثة الإسبانية (١٧٠١-١٧١٣) بعد وفاة شارل الثاني. فقد طالب لويس الرابع عشر بوراثة العرش لولي عهده من «ماري تيريز» ابنة ملك إسبانيا، إلا أن إحساس إنكلترا وهولندا بخطر ذلك دفعهما إلى تشكيل التحالف الأعظم وشن الحرب ضد القوات الفرنسية التي انتهت بتوقيع اتفاقية «أوترخت» Utrecht في نيسان/إبريل ١٧١٣ التي وضعت حداً لحروبه من دون أن يحقق أطماعه التوسعية.

داخلياً أعاد لويس الرابع عشر تنظيم قصر ڤرساي وجعله تحفة فنية، إلا أن نقل مركز الحكومة بعيداً عن العاصمة كانت له نتائج سلبية. ومن المشكلات التي واجهتها الحكومة أيضاً، تلك التي نشأت بين أتباع الكنيستين البروتسانتية والكاثوليكية، وعلى الرغم من دعم الكنيسة الكاثوليكية له، فقد أصرّ لويس الرابع عشر على استقلاله عن كل قوة روحية، وهذا ما يدل على سياسته الدينية المتقلبة، مع ميله إلى حياة اللهو والمجون وزواجه من المركيزة «مانتينون» عام ١٦٨٣ وإعطائها دوراً خفياً وفعالاً في الحياة العامة، ومع تعدد خليلاته، ظل الرأي العام الفرنسي يرى في لويس الرابع عشر صورة فرنسا التي عرفت في أيامه الرخاء والكوارث.

وفي عهده ازدهرت الحضارة الفرنسية في ميادين العلوم والآداب والفن، وظهرت المآثر الأدبية الكبيرة للشعراء الفرنسيين الكبار مثل كورنيّ Corneille وراسين Racine وموليير Molière، وفي عهده أُنشئت أكاديمية الرسم والنحت، وأكاديمية العلوم، وأكاديمية الهندسة. لكن التاريخ حفظ بالمقابل عن لويس الرابع عشر صورة الملك المستبد الذي جسد خير تجسيد مبدأ الحكم الإلهي المطلق.

ورغم أن لويس الرابع عشر حاول الإشراف على كافة جوانب الحكومة، إلا أنه اعتمد على الوزراء لمساعدته في تنفيذ سياساته. ولكن مصير فوكيه أظهر لهؤلاء الرجال أنهم لا يستطيعون أن يطمحوا إلى الهيمنة الشخصية على غرار ريشيليو ومازارين. وكان لويس حريصاً على تقسيم حظوته بين الوزراء المتنافسين وتشجيع التنافس بينهم، حتى يظل دائماً في موقف يسمح له باتخاذ القرارات المهمة.

كان كولبير ، وهو مساعد سابق لمازارين ، هو أهم وزير في النصف الأول من حكم لويس الرابع عشر . ويُذكَر كولبير في المقام الأول لجهوده الرامية إلى تنظيم الاقتصاد

الفرنسي. فقد كان يعتقد أن هناك حاجة إلى جهد منظم للسماح لفرنسا بالتفوق على منافسيها، وخاصة هولندا وإنجلترا. وقد تم تنظيم التجار والمصنعين الفرنسيين بشكل صارم لتجنب ما اعتبره كولبير منافسة مسرفة والتأكد من أن سلعهم عالية الجودة. وحاول كولبير تشجيع تطوير المصنوعات المحلية لتحل محل السلع التي اضطرت فرنسا إلى استيرادها من الخارج، وخاصة المنتجات الفاخرة باهظة الثمن. وقد عملت سياساته التجارية على تثبيط الواردات من خلال التعريفات الجمركية المرتفعة وحاول بناء صناعات التصدير التي من شأنها أن تزيد مبيعاتها في الخارج من كمية الأموال المتدفقة إلى المملكة.

كان بناء اقتصاد فرنسا مجرد جزء واحد من برنامج لويس الرابع عشر لزيادة قوة البلاد. في رأيه، كان الواجب الأكثر أهمية للحاكم هو السعي إلى المجد لنفسه وبلاده من خلال النجاحات العسكرية. تم تكليف وزير الحرب، لوفوا ، بتنظيم جيش سرعان ما نما ليصبح الأكبر في أوروبا. في عام ١٦٦٥، شن لويس الرابع عشر هجومًا على المقاطعات الإسبانية في هولندا، على طول الحدود الشمالية لفرنسا. أضافت حرب اللامركزية هذه (١٦٦٦-٦٨) مدينة ليل المهمة إلى الأراضي الفرنسية. في عام ١٦٧٢، هاجمت فرنسا هولندا ، منافس تجاري مهم. توقع الفرنسيون انتصارًا سهلاً على خصمهم الأصغر كثيرًا، لكن الهولنديين نجحوا في إيجاد حلفاء وأبدوا مقاومة عنيدة. على الرغم من أن دعاة لويس الرابع عشر أعلنوا أن الحرب كانت انتصارًا، إلا أنها في الواقع انتهت في عام ١٦٧٨ بمكاسب طفيفة فقط لفرنسا.

في الداخل، واصل لويس الرابع عشر جهوده لتعزيز السلطة الملكية. فقد نظم أسلوب ريشيليو في السيطرة على المقاطعات من خلال مسؤولين معينين من خلال إنشاء نظام من المراقبين الدائمين ، واحد لكل مقاطعة من مقاطعات البلاد. وكان المراقبون، الذين يمكن للملك نقلهم أو فصلهم، يشرفون على إنفاذ القوانين وجمع الضرائب، ويقدمون تقارير منتظمة إلى الملك عن الأحداث في مقاطعتهم. اعتاد الرعايا الفرنسيون على الوجود الدائم للسلطة الملكية في جميع أنحاء البلاد. في عام ١٦٧٣، قلص لويس صلاحيات البرلمانات ، المحاكم الملكية. مُنعوا من الاحتجاج على أحكام القوانين الجديدة حتى بعد تسجيلها. وقد أدى هذا إلى تقليل قدرة المحاكم بشكل كبير على عرقلة السياسة الملكية والتأثير على السكان.

على الرغم من أنه كان مصمماً على أن يُطاع، إلا أن لويس الرابع عشر أدرك أنه يحتاج إلى تعاون رعيته لتنفيذ سياساته. فقد عرض على النخب النبيلة في البلاد احتكاراً فعلياً للمناصب الحكومية والخدمات في مقابل دعمهم. وفي مدن فرنسا، تم استبدال المجالس البلدية المنتخبة بمسؤولين عينهم الملك، والذين يمكن الاعتماد عليهم لمنحه ولائهم. ولجمع الأموال، أنشأ وباع عددًا متزايدًا من المناصب الفاسدة . كان لويس الرابع عشر لا يثق في الطبقات الدنيا، وينظر إليها كمصدر محتمل للاضطراب. لقد أنشأ دور رعاية كبيرة حيث تم حبس المتسولين والأيتام والمجرمين والمجانين قسراً تحت إشراف مشدد.

مثل أسلافه هنري الرابع ولويس الثالث عشر، أراد لويس الرابع عشر أن يرى فرنسا تحقق الوحدة الدينية. وعلى الرغم من أنه كان كاثوليكيًا متدينًا، إلا أنه استاء من جهود البابا للسيطرة على الكنيسة الفرنسية. في عام ١٦٨٢، فرض المواد الغاليكية على التسلسل الهرمي الفرنسي، مما أعطى الملك سيطرة شبه كاملة على تسمية الأساقفة والشؤون الداخلية للكنيسة. وبحث من الكاثوليك المتشددين الذين أقنعوه بأن الأقلية البروتستانتية كانت ضعيفة للغاية بحيث لا تستطيع المقاومة، قرر لويس في عام ١٦٨٥ أن الوقت قد حان لإلغاء مرسوم نانت . تم حظر العبادة البروتستانتية في فرنسا، واستُخدمت تدابير صارمة، مثل إيواء القوات في منازل البروتستانت، للضغط عليهم للتحول. فر حوالي ثلث البروتستانت في فرنسا إلى الخارج هربًا من هذا الاضطهاد؛ شكل آخرون حركة سرية، وأقاموا خدمات دينية في الغابات والمناطق الجبلية النائية. شن المنفيون البروتستانت حملة دعائية ضد لويس الرابع عشر من ملاجئهم في هولندا وأماكن أخرى، مما ألحق أضرارًا كبيرة بسمعة الملك في الخارج.

طوال أوائل ثمانينيات القرن السابع عشر، واصل لويس الرابع عشر حملته العدوانية لتوسيع حدود فرنسا، وخاصة على طول نهر الراين. منحه ضم مدينة ستراسبورغ الألمانية التاريخية في عام ١٦٨١ السيطرة على مقاطعة الألزاس الاستراتيجية . أدى دفع فرنسا نحو نهر الراين إلى دخول لويس الرابع عشر في صراع مع سلالة هابسبورغ النمساوية، لكن الإمبراطور ليوبولد الأول كان مشغولاً بحرب ضد الإمبراطورية العثمانية، التي هددت جيوشها عاصمته فيينا في عام ١٦٨٣. وعلى الرغم من أن النمساويين كانوا مسيحيين مثلهم، إلا أن لويس الرابع عشر شجع الأتراك، مما أدى إلى تسميم العلاقات مع آل هابسبورغ.

وبعد أن هزم النمساويون الأتراك، انضموا إلى تحالف مع أعداء فرنسا الآخرين. وجاءت قيادة هذا التحالف من الزعيم الهولندي ويليام أوف أورانج، الذي أصبح ملكًا لإنجلترا في عام ١٦٨٨ باسم ويليام الثالث، ليحل محل جيمس الثاني الذي دعمه لويس الرابع عشر. وفي عام ١٦٨٨، وجدت فرنسا نفسها متورطة في جولة جديدة من الحرب ضد تحالف ضم جميع القوى الأوروبية الكبرى الأخرى: إنجلترا وهولندا والنمسا وبروسيا. وشن المنفيون الهوغونوتيون الذين طردوا من فرنسا بعد عام ١٦٨٥ حملة دعائية فعالة ضد لويس الرابع عشر. واستمرت حرب عصبة أوغسبورغ حتى عام ١٦٩٧. وحرم موت وزير الحرب القادر لوفوا في عام ١٦٩١ لويس من مستشار قيم. وعلى الرغم من فوز الفرنسيين ببعض المعارك الكبرى، إلا أن لويس الرابع عشر لم يتمكن من تفكيك تحالف العدو، وكانت تسوية السلام النهائية بمثابة هزيمة بالكاد مقنعة له.

لقد تركت حرب عصبة أوغسبورغ فرنسا منهكة مالياً، ولم يكن الملك المسن راغباً في بدء صراع آخر. ولكن عندما توفي تشارلز الثاني ملك إسبانيا دون وريث في عام ١٧٠٠

وترك عرشه لأمير بوربون الفرنسي، وجد لويس نفسه في مأزق. فقد رفض أعداء فرنسا قبول ترتيب كانوا يخشون أن يؤدي ذات يوم إلى اتحاد بين فرنسا وإسبانيا. ولم يكن لويس على استعداد للتخلي عن مثل هذا المكسب الكبير في موقف فرنسا الدبلوماسي والعسكري. وانهارت المفاوضات مع ويليام الثالث وليوبولد الأول، وفي عام ١٧٠١ وجدت فرنسا نفسها مرة أخرى في حالة حرب مع البريطانيين والهولنديين والنمساويين.

كانت حرب الخلافة الإسبانية (١٧٠١-١٧١٣) أكبر الحروب الأوروبية وأكثرها تكلفة حتى ذلك الوقت. في ذروتها، نما الجيش الفرنسي إلى أكثر من ٤٠٠٠٠٠ رجل، أي ثلاثة أضعاف ما كان عليه خلال حرب الثلاثين عامًا. كانت تكلفة الحفاظ على هذا المجهود الحربي الضخم معوقة. ارتفعت الضرائب إلى مستويات قياسية. أدى جهد الملك لزيادة ضريبة الرؤوس ، وهي ضريبة يدفعها جميع الرعايا بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي، إلى فرض ضغوط على التحالف مع النبلاء الذي كان أساس نظام لويس. ثار البروتستانت في المنطقة الجنوبية النائية من سيفين في عام ١٧٠٣، فبدأوا حرب عصابات أصبحت استنزافًا إضافيًا للموارد. عانى الجيش الفرنسي أيضًا من عدة هزائم كبرى، وأبرزها في معركة بلينهايم في عام ١٧٠٤، عندما حققت القوات البريطانية بقيادة دوق مارلبورو نصرًا مدمرًا.

لقد أدت كوارث الحرب إلى زيادة الانتقادات الموجهة إلى لويس الرابع عشر ونظامه الاستبدادي القاسي. فقد اشتكى التجار والصناع من القواعد واللوائح التي أعاقت أنشطتهم. وفي البلاط، استاء العديد من النبلاء الكبار من استبعادهم من أي دور سياسي حقيقي وتحدثوا عن ضرورة الحد من السلطات المفرطة التي جمعها لويس الرابع عشر في يديه. وقد وثق أحد النبلاء غير السعداء، دوق سان سيمون ، شكواهم في مذكراته المطولة. وقد نُشرت صورته اللاذعة للملك المسن وبلاطه الممزق بالفصائل بعد وفاته ووفاة الملك، وأصبحت كلاسيكية أدبية ومصدرًا لكثير من معرفتنا بالسياسة والرأي الفرنسي في عهد لويس الرابع عشر.

اعترض الكاثوليك المتدينون على الكنيسة التي أصبحت أداة للسيطرة السياسية؛ وانضم بعضهم إلى حركة كاثوليكية منشقة، وهي حركة الينسينية ، التي دعت إلى شكل أكثر نقاءً وصرامة من التقوى. وخوفًا من أن يُضعِف الينسينيون سلطته على الكنيسة، ضغط لويس الرابع عشر على البابا لإصدار إدانة لعقائدهم اللاهوتية. ولم يؤدِ مرسوم البابا، Unigenitus ، الصادر في عام ١٧١٣ إلا إلى تعزيز تصميم الينسينيين على مقاومة السلطة البابوية والملكية. وأصبح الجدل حول الينسينيين أحد الانقسامات الرئيسية في فرنسا خلال القرن الثامن عشر.

في عام ١٧٠٩، وصلت ثروات فرنسا إلى أدنى مستوياتها، بعد المزيد من الهزائم العسكرية. كان شتاء ١٧٠٩-١٧١٠ واحدًا من أبرد فصول السنة في تاريخ فرنسا، حيث دمر

المحاصيل وتسبب في بؤس شديد لكثير من السكان. كان لويس الرابع عشر مستعدًا بحلول ذلك الوقت لإبرام السلام، لكن أعداءه استمروا في رفع مطالبهم عندما رأوا الصعوبات التي تواجهها فرنسا تتزايد. ولأنه لم يكن راغبًا في قبول المطالب التي اعتبرها مهينة لنفسه وخطيرة على البلاد، فقد دفع لويس إلى اتخاذ خطوة غير عادية من خلال مناشدة رعيته مباشرة للحصول على دعمهم. قال لهم: "لقد جئت لأطلب منكم المشورة والمساعدة في هذا اللقاء الذي ينطوي على سلامتكم".

وفي عام ١٧١٣، أتاح الانقسام بين أعداء فرنسا والحظوظ الأفضل في ساحة المعركة الفرصة أخيرًا لإنهاء الحرب. وظل فيليب الخامس من آل بوربون ملكًا لإسبانيا، لكنه تخلى عن أي مطالبة بالعرش الفرنسي، وتجنبت فرنسا الاضطرار إلى التنازل عن الأراضي التي اكتسبتها في وقت سابق من حكم لويس. ومع ذلك، تركت الحرب فرنسا على وشك الإفلاس، وكان الملك المسن غير محبوب بشدة. وفي غضون ذلك، ترك موت ابنه وحفيده خلال السنوات الأخيرة من الحرب حفيدًا شابًا وريثًا، مما أثار احتمال حدوث وصاية مضطربة أخرى. وتسببت محاولة لويس الرابع عشر لضمان بقاء السلالة من خلال جعل أبنائه غير الشرعيين مؤهلين للعرش في نفور شخصيات البلاط الرئيسية. وعند وفاته في عام ١٧١٥، ترك لويس الرابع عشر وراءه مملكة مضطربة للغاية. وكان منتقدوه يأملون أن تتحرك فرنسا الآن في اتجاه حكومة أقل مركزية وسياسة خارجية أقل عدوانية.